انتفاضة شعب فلسطين

زئيف شيف وايهود يعري، **انتفاضة** (ترجمة دافيد سيغف)، القدس وتل ـ أبيب: دار شوكن، ١٩٩٠، ٣٨٧ صفحة.

هذا الكتاب («انتفاضة») هو العمل المشترك الثالث للكاتبين، زئيف شيف (محرر الشؤون العسكرية في صحيفة «هآرتس» اليومية الاسرائيلية) وايهود يعري (مراسل شؤون الشرق الاوسط في التلفزيون الاسرائيلي). وسبق للكاتبين ان اشتركا في كتابي «سنة الحمامة» و«حرب اسرائيل في لبنان»، الذي حمل عنوان «حرب الضلال». وصدر كتاب «انتفاضة» بالعبرية والانكليزية والعربية في آن.

جاء على غلاف الطبعة الانكليزية للكتاب «في ١٩٨٧، بعد ٢٠ سنة من احتلال اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، انفجر تمرّد الفلسطينيين. اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية والاردنيون والولايات المتحدة الاميركية أخذتهم المفاجأة»؛ ولذا، فالكتاب، كما جاء على غلاف الطبعة العربية، يبحث في «كيف، ولماذا، حدث الانفجار؟ لماذا حصلت المفاجأة؟ ما هي المنعطفات الملتوية في مسار الانتفاضة؟ من هي الشخصيات المجهولة التي كانت وراء القيادة الموحّدة؟ ماذا يحدث في صفوف جيش الدفاع الاسرائيلي؟ ماذا يحصل في المعسكر الفلسطيني؟».

الاسئلة، آنفة الذكر، تناولها الكاتبان في أحد عشر فصلاً معنونة على النحو التالي: مفاجأة؛ الرواق؛ غضب الكادحين؛ فقدان السيطرة؛ محنة الجيش؛ القيادة الوطنية الموحّدة؛ فلسطينيون اسرائيليون؛ حماس؛ فشل العصيان المدني؛ اعلان الاستقلال؛ المتاهة.

وفي خاتمة الكتاب، عرض الكاتبان مخططاً ـ مشروعاً لتسوية الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي؛ والمشروع بحث أعدّه المؤلفان لصالح «معهد واشنطن لسياسة الشرق الاوسط».

ربط الكاتبان بين الغزو الاسرائيلي للبنان ونتائجه، وبين الانفجار ـ الانتفاضة في الاراضي الفلسطينية المحتلة، حيث افتتحا كتابهما «انتفاضة» بخاتمة كتابهما «حرب الضلال»، فكتبا في التمهيد: «ينبغي علينا ألّا نعلّل أنفسنا بأوهام كاذبة من ان اسرائيل تمكّنت من جعل القضية الفلسطينية ترقد في سبات عميق، أو اجتثاثها من جذورها... اننا نخطو نحو أفق يشوبه الضباب؛ ومن المحتمل انه ينطوي على بذور حرب أهلية داخل حدودنا في المستقبل القريب» (من كتاب **حرب الضلال**، ١٩٨٤، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧). ثمّ استهلاّ كتاب «انتفاضة» بالقول: «بيد ان الأفق كان أقرب ممّا قدّرنا. فمن خلال الضباب، انفجرت حرب من طراز جديد بالنسبة لنا ـ الانتفاضة» (ص ٧).

وعرّفا حرب الانتفاضة بأنها «حرب شعبية شاملة لا تعتمد على قوات مسلّحة، بل على مواطنين قاموا باستخدام وسائل عنيفة أخرى؛ حرب استثنائية شاذة في أسلوبها وطريقتها، لا تنطوي على بُعد من المواجهة القوية فحسب، بل على دوافع ذات قوة هائلة في مجالات التوتّرات الاقتصادية والاجتماعية أيضاً» (ص ٧).

بدأ الكاتبان الفصل الاول بعنوان «مفاجأة»، وأول المفاجأين بالانتفاضة، اسرائيل؛ اذ ان «احتمال انفجار انتفاضة فلسطينية شاملة لم يرد اطلاقاً في قاموس المفاهيم الأمنية الاسرائيلية» (ص ٩)؛ و«مفاجأة تامّة